

## بيعة العقبة

محمد هادي اليوسفي الغروي

رسول الله فخذ لنفسك وربك ما  
شئت. فقال: موعدكم العقبة في الليلة  
الوسطى من ليالي التشريق  
فاحضروا دار عبدالمطلب على  
العقبة، ولا تنهوا نائماً.

فلما حجوا رجعوا إلى منى،  
وجاءه منهم سبعون رجلاً من  
الأوس والخزرج فدخلوا الدار. فلما  
اجتمعوا قال لهم رسول الله: تمنعون  
جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم  
وثوابكم على الله الجنة؟ فقال أسعد

قال القمي في تفسيره: لما قدمت  
الأوس والخزرج مكة، وكان أكثرهم  
مشركين على دينهم، وفيهم عبدالله  
ابن أبي بن سلول، وفيهم ممن  
أسلم بشر كثير. وكان رسول الله ﷺ  
نازلاً في دار عبدالمطلب (في منى) في  
أيام موسم الحج) ومعه علي عليه السلام  
وحمزة والعباس. فجاءهم  
رسول الله ﷺ وقال لهم: تمنعون  
جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم،  
وثوابكم على الله الجنة؟ قالوا: نعم يا

ابن زرارة والبراء بن معرور وعبدالله  
ابن حرام: نعم يا رسول الله، فاشترط  
لنفسك ولربك.  
فقال رسول الله: تمنعوني مما  
تمنعون منه أنفسكم، وتمنعون أهلي مما  
ابن نضلة الأوسي فقال:  
يا معشر الأوس والخزرج،  
تعلمون علي ما تقدمون عليه؟ إنما  
تقدمون علي حرب الأحمر والأبيض  
وعلي حرب ملوك الدنيا، فإن علمتم

تمنعون منه أهليكم؟ قالوا: فما لنا علي  
ذلك؟  
قال: تملكون بها العرب في  
الدنيا، وتدين لكم العجم وتكونون  
ملوكاً في الجنة.  
فقالوا: قد رضينا. فقام العباس  
أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم  
خذلتموه وتركتموه فلا تغروه، فإن  
رسول الله وإن كان قومه  
خالقوه - فهو في عزٍّ ومنعة.  
فقال له عبدالله بن حرام وأسعد  
ابن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان:

صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب، هذا محمد والصبابة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبائعونه على حربكم فأسمع أهل منى، فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح.

وسمع رسول الله النداء فقال للأنصار: تفرّقوا. فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيفنا فعلنا.

فقال رسول الله: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله في محاربتهم.

فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا.

قال: انتظر أمر الله (بأهجرة) فتفرّقوا.

وخرج حمزة وعلي بن أبي طالب فوقف حمزة على العقبة ومعه السيف.

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، فلما نظروا إلى حمزة قالوا له: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟

مالك وللكلام؟! ثم قالوا: يا رسول الله، بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال رسول الله: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فقالوا: اختر من شئت.

فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم، فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب حتى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله ابن حرام - وهو أبو جابر بن عبدالله الأنصاري - ورافع بن مالك، وسعد ابن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت. وثلاثة من الأوس هم: أبوالهيثم بن التيهان اليمني حليف بني عمرو بن عوف، وأسيد ابن حضير، وسعد بن خيشمة.

فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله

قال: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي! فرجعوا. ورجع رسول الله إلى مكة.

(ولم يطلع المسلمون من الأوس والخزرج المشركين منهم، وفيهم عبدالله بن أبي بن أبي سلول، فغدت قريش إليه) وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا؟

فحلف لهم عبدالله: أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، فصدّقه<sup>(١)</sup>.

ذكر ذلك القمي في تفسيره، ونقله عنه الطبرسي في «اعلام الوري» والقطب الراوندي في «قصص الأنبياء» ولم يتبعه تلميذه ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب» بل قال:

كان النبي يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلق رهاطاً من الخزرج ستة نفر فقال: أفلا تجلسون أحدتكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا إليه فدعاهم إلى الله وعرض

عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: والله إنه للنبي الذي كان يُوعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم إليه (فصدّقه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام) وقالوا له: إننا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمع الله بينهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك (ونعرض عليهم الذي أجبنك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله بك فلا رجل أعز منك). ثم انصرفوا عن رسول الله راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا.

فلما كان العام المقبل أتى من الأنصار إلى الموسم اثنا عشر رجلاً فلقوا النبي ﷺ فبايعوه على «بيعة النساء»<sup>(٢)</sup> وبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم يصلي بهم (فكان يصلي بهم ويقرئهم القرآن حتى سمي بينهم بالمقرئ، وحتى لم تبقى دار في المدينة إلا وفيها رجال ونساء

مسلمون:

(وفي الموسم القادم) خرج جمع من الأنصار مع حجّاج قومهم، فاجتمع، في ليلة من ليالي التشريق في الشعب عند العقبة، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

(فقام فيهم رسول الله) فقال: أبايعكم على الإسلام.

فقال له بعضهم: نُريد أن تعرّفنا - يارسول الله - ما لله علينا وما لك علينا وما لنا على الله؟

فقال: أما ما لله عليكم: فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأما مالي عليكم: فتنصروني مثل نساءكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عضّ السيف وأن يُقتل خياركم<sup>(٣)</sup>.

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا على الله؟

قال: أمّا في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة الرضوان والجنّة.

فقال أبو الهيثم بن التيهان: إنّ

بيننا وبين الرجال حبلاً، فهل عسيت إن نحن قطعناها أو قطعوها ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ثمّ قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم.

فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: والذي بعثك بالحقّ لنمنعك بما نمنع به أزرنا، فبايعنا - يارسول الله - فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة، ورتناها كباراً عن كبار.

فقال رسول الله: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً. فاختروا.

فقال لهم: أبايعكم كبيعة عيسى ابن مريم للحواريين، كفلاء على قومكم، على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبنائكم. فبايعوه على ذلك.

فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجباب<sup>(٤)</sup> هل لكم في محمّد والصّباة معه، فإنّهم قد اجتمعوا على حربكم؟! ففشا الخبر ونفر الناس

وخرجوا في الطلب، فلم يدركوا منهم إلا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجز القوم هرباً، وأما سعد فأدركوه فأخذوه وربطوه بجبل رحله وادخلوه مكة يضربونه.

فبلغ خبره إلى جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية (أخي أبي سفيان صخر بن حرب) فأتياه وخلصاه<sup>(٥)</sup>.

هذا ما ذكره ابن شهر آشوب في فصل هجرته ﷺ، وقد قال في الفصل السابق في أحواله وتواريخه: كان حصار الشعب أربع سنين. وقال قبله: توفي أبو طالب بعد نبوته بتسع سنين وثمانية أشهر، وذلك بعد خروجه من الشعب بشهرين. وتوفيت خديجة بعده بستة أشهر. ولبت بعدها بمكة ثلاثة أشهر فأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة (!) فخرج جماعة من أصحابه بأهاليهم، وذلك بعد خمس من نبوته (!) وقال: فلما توفي أبو طالب خرج إلى الطائف

وأقام فيه شهراً، ثم انصرف إلى مكة ومكث فيها سنة وستة أشهر في جوار مطعم بن عدي.

ثم ذكر مختصر بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية، ولكنه أضاف ذكر أسمائهم فقال: كانت بيعة العقبة الأولى بمبنى، بايعه خمسة نفر من الخزرج وواحد من الأوس، في خفية من قومهم «بيعة النساء» وهم: جابر ابن عبدالله<sup>(٦)</sup>، وقطب بن عامر بن حرام، وعوف بن الحارث، وحاتثة ابن ثعلبة<sup>(٧)</sup>، ومرثد بن الأسد، وأبو أمامة ثعلبة بن عمرو، ويقال: هو أسعد بن زرارة.

وفي السنة القابلة - وهي العقبة الثانية - أنفذوا معهم ستة أخرى بالإسلام والبيعة، وهم: أبو الهيثم بن التيهان، وعبادة بن الصامت، وذكوان ابن عبدالله، ونافع بن مالك بن العجلان، وعباس بن عبادة بن نضلة، ويزيد بن ثعلبة حليف له. ويقال: مسعود بن الحارث، وعويم بن

متواليات، ولم يسند الخبر لاهنا ولا في فصل هجرته ﷺ ولم يذكر سيرة ابن هشام أو ابن إسحاق عند ذكره لطرقه إلى كتب العامة في مقدمة كتابه، نعم ذكر طريقه إلى مغازبه (١١) ومع ذلك فإني لا أراه إلا أنه اختصر خبره من سيرته كما في سيرة ابن هشام، مع فارق:

أن ابن إسحاق يبدأ في خبر إسلام الأنصار، فيذكر عرض الرسول نفسه على العرب، ولقاءه بالستهة من الخزرج عند العقبة، وأتهم: أجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام. ثم انصرفوا عن رسول الله راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا. ثم يسميهم. ولا يذكر شيئاً عن البيعة ولا يسميها «بيعة النساء» ولا «العقبة الأولى» وابن شهر آشوب سماها: بيعة العقبة الأولى، وبيعة النساء. والعقبة التي اضيف فيها إلى الستة الأولى ستة آخرون فكان

ساعده حليف لهم. ثم أنفذ النبي ﷺ معهم ابن عمّه: مصعب بن عمير بن هاشم، فنزل دار أسعد بن زرارة، فاجتمعوا عليه وأسلم أكثرهم.

وفي السنة القابلة كانت «بيعة الحرب» (٨) كانوا سبعين رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج، واختار منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج: أسعد بن زرارة، وجابر بن عبد الله الأنصاري (٩)، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد ابن عباد، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع. ومن القوافل: عبادة بن الصامت. ومن الأوس: أبو الهيثم بن التميمي، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة (١٠).

وظاهره - كما ترى - أنه يعدد ثلاث بيعات في ثلاث سنوات

الجميع اثني عشر رجلاً وبعث معهم مصعب بن عمير، يسميها: العقبة الثانية. والعقبة الثانية التي كان الأنصار فيها ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين يسميها بيعة الحرب، وهي كذلك، ولكنه يجعلها البيعة الثالثة في السنة القابلة أي الثالثة. ولعل منشأ الشبهة له هو أن ابن اسحاق أو ابن هشام لا يسمي اللقاء الأول<sup>(١٢)</sup>، ويسمي اللقاء الثاني بالعقبة الأولى<sup>(١٣)</sup>، ويسمي اللقاء الثالث بالعقبة الثانية<sup>(١٤)</sup> ثم يعود على شروط هذه البيعة بعنوان: شروط البيعة في العقبة الأخيرة: قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب<sup>(١٥)</sup> فلعلهم وهم أن البيعة الأخيرة بيعة الحرب غير بيعة العقبة الثانية، فهي الثالثة.

وابن إسحاق يروي الخبر الأول عن اللقاء الأول للنبي بالستة من الخزرج عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ قومه<sup>(١٦)</sup>، وخبر

العقبة الأولى عن عبادة بن الصامت بثلاثة وسائط<sup>(١٧)</sup>، وبطريق آخر عنه بواسطتين<sup>(١٨)</sup>، وخبر العقبة الثانية عن كعب بن مالك الخزرجي بواسطة ابنه معبد عن أخيه عبدالله عن أبيه كعب<sup>(١٩)</sup> وخبر أسر سعد بن عبادة عن عبدالله بن أبي بكر عنه<sup>(٢٠)</sup>.

ويوهم قوله: كانت البيعة الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله لم يكن قد أذن لرسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم في الحرب، فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله<sup>(٢١)</sup> وقوله: وكان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء.. فلما عنت قريش على الله عز وجل.. أذن الله عز وجل لرسوله في القتل والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم... بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء: أن أول آية أنزلت في أذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون



بعد عشرين سورة نزلت بعد الهجرة، تقريباً، ممّا لا يناسب معه نزولها حتى قبل وقعة بدر في منتصف السنة الثانية للهجرة، بل يناسب نزولها بعد ذلك تحكي علّة الإذن في ذلك، فضلاً عن أن تكون قد نزلت قبل بيعة الحرب في العقبة الثانية قبل الهجرة، ممّا يوهمه ظاهر مقال ابن إسحاق، ولكن الحديث اختلط بعضه ببعض في غير وضوح. نعم كان يفهم من بيعة الحرب أن ذلك سيكون، وكانت لابن إسحاق رواية عن عروة بن الزبير وغيره عن أوّل آية أنزلت في الإذن في الحرب والقتال، فانقل إلى نقل الرواية كجملة معترضة، ومثله كثير في الكتب القديمة.

بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير ﴿٢٢﴾.. فلما أذن الله تعالى له في الحرب وبايعه هذا الحيّ من الأنصار (٢٣) يوهم قوله هذا: أن الإذن له بالحرب صدر بهذه الآية قبل بيعة الحرب في العقبة الثانية قبل الهجرة، ولذلك بايعهم النبيّ بيعة الحرب.

ويردّه مارواه ابن إسحاق عن معبد بن كعب عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك: أن العباس ابن عبادة بن نضلة قال له: إن شئت لتميلنّ على أهل منى غداً بأسيا فإنا! فقال رسول الله: لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم (٢٤).

والآية من سورة الحجّ، وهي بعد المئة في ترتيب النزول، أي النازلة

### الهوامش :

- (١) تفسير القمي ١: ٢٧٢، ٢٧٣، باختلاف في بعض الألفاظ، وعنه في اعلام الوري: ٥٩ - ٦١، وعن القمي أيضاً في قصص الأنبياء: ٣٣٢، ٣٣٣، باختلاف في بعض الألفاظ أيضاً.
- (٢) اصطلاح المسلمون - فيما بعد - اسم بيعة النساء على البيعة التي وردت في الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة، وإنّما يكتنّى بها عن بيعة لاقتال فيها في مقابل بيعة الحرب. وسورة الممتحنة نازلة بعد صلح الحديبية، فالتسمية متأخرة.

- (٣) وهذا معناه أن بيعة النساء السابقة تغيّرت هنا إلى بيعة القتال والحرب.
- (٤) الجياجب: جمع جُبجبية: الوعاء من آدم ونحوه، وتُطلق على منازلهم في منى لأنها أوعية لهم.
- (٥) مناقب آل أبي طالب: ١٨١، ١٨٢. وهو مختصر خبر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢: ٧٠ - ٩٣.
- (٦) لا يوجد جابر فيمن شهد العقبة بل أبوه عبدالله بن عامر بن حرام. بل يعدّ جابر من أترب الحسين عليه السلام.
- (٧) ولا يوجد هذا الإسم أيضاً في السنة الأولى ولا الأخيرة، بل هو جدّ الأوس والخزرج، البيهقي ٢: ٣٠.
- (٨) في الكتاب: الحرث، أو الحرس، ولا ريب أن الحرس مصحّف الحرث، وهو مصحّف الحرب، فهو الصحيح ولا معنى لغيره.
- (٩) روى الكشي في رجاله عن الباقر عليه السلام قال: كان عبدالله أبو جابر بن عبدالله من السبعين ومن الاثني عشر، وجابر من السبعين وليس من الاثني عشر. رجال الكشي: ٤١ طمشهد.
- (١٠) مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٤، ١٧٥، وهو مختصر خبر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢: ٧٣ - ٧٥ و ٨١ - ٨٧ ومنها ما بين الأقواس.
- (١١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠.
- (١٢) سيرة ابن هشام ٢: ٧٠.
- (١٣) ابن هشام ٢: ٧٣.
- (١٤) ابن هشام ٢: ٨١.
- (١٥) ابن هشام ٢: ٩٧.
- (١٦) سيرة ابن هشام ٢: ٧٠.
- (١٧) ابن هشام ٢: ٧٥.
- (١٨) ابن هشام ٢: ٧٦.
- (١٩) ابن هشام ٢: ٨١.
- (٢٠) ابن هشام ٢: ٩١.
- (٢١) ابن هشام ٢: ٩٧.
- (٢٢) الحج: ٣٩.
- (٢٣) ابن هشام ٢: ١١٠ - ١١١.
- (٢٤) سيرة ابن هشام ٢: ٩١.